الفصل الخامس

التنـزيه في فِكْر الفاروقي "قراءة في كتاب التوحيد"

عبد الرحمن أبو صعيليك[1]

مقدمة:

لقيت نظرية التنزيه عند المسلمين الاهتمام الكبير، فمنذ نزول القرآن الكريم استلهمها الصحابة الكرام، ثم بدأت تُدَوَّن في عهد تدوين العلوم، شأنها شأن أيِّ علم من العلوم التي نشأت عند المسلمين، ثم طورت على يد علماء الكلام من مختلف الفرق الإسلامية، وقعّدت في كتبهم، لذا كانت تختلف في الظهور والخفاء بحسب استلهام مستلهميها.

إنَّ أكثر ما يميّز الفكر الإسلامي في نظرته تجاه خالق الوجود ومنشئه، تلك النظرة التنزيهية التي تصبغ رؤيته وتنظيره في الحديث عن الخالق ومفيض الوجود، كما أنَّ الفرق الإسلامية بعامة لم تجتمع على مفهوم اجتماعها على التنزيه في نظرتها نحو المولى سبحانه. إضافة إلى أنَّ الفكر التنزيهي يُعد أيضاً أهم ما يميز الدين الإسلامي عن غيره من الأديان الإلهية، ولا نكون أبْعَدْنا النُّجعة إذا قلنا إنَّ التنزيه الإسلامي في نظرة المسلم نحو خالقه ومعبوده هي أخص وصف من خصائص العقيدة الإسلامية.

وفي هذه الورقة سنبين رأي المرحوم إسماعيل الفاروقي في التنزيه، الذي شرحه بطريقة تختلف تماماً عما شرحه به علماء الكلام، وإن لم يناقضهم، من خلال كتابه "التوحيد؛ مضامينه على الفكر والحياة"، الذي لم يخاطب به

---

(١) دكتوراه في العقيدة والفلسفة الإسلامية، من كلية أصول الدين، بجامعة العلوم الإسلامية العالمية، البريد الإلكتروني: suailiq_1974@yaho.com.

أهل الإسلام فحسب، بل خاطب به العالمين بغض النظر عن دينهم، لقد أبدع الفاروقي في أمرين بزَّ بِهِمَا من سبقه، الأول في طريقة ربطه لمباحث العقيدة بالتنزيه، والثاني لإظهاره عالمية التنزيه. فضلاً عن طريقته العلمية في معالجة موضوع التنزيه؛ إذ تمت هذه المعالجة من خلال جانبين: بنائي وهدمي، فالبنائي من خلال تقرير التنزية والبرهنة عليه، والهدمي من خلال نقده للأفكار التي عارضت التنزية، فجاءت هذه المعالجة من الدقة التي بها خرج التنزيه في ثوب عصري قشيب نسجه هذا العالِم الشهيد.

هذه الورقة مقسمة إلى ثلاثة أقسام هي: نعرض في القسم الأول لمصطلح التنزيه، ومقدمات مهمة لهذا الموضوع، ونخصص القسم الثاني لمناقشة الديانتين اليهودية والمسيحية، في نظرتهما للتنزيه، ونختم بالقسم الثالث الذي نبين فيه نظرية التنزيه عند الفاروقي. ومنهجنا أن نلتزم بعبارة الفاروقي قدر الإمكان، مع الإفادة مما خطته أقلام علماء التوحيد إن كان إيراده يضيف فائدة أو يسهل فهماً.

وكان اعتمادنا في هذه الدراسة بشكل مباشر على ترجمة وائل الخيري لكتاب التوحيد للمرحوم الفاروقي، إلا أننا كنا في بعض الأحيان نستعين بالترجمة غير المحررة، وغير المنشورة التي ترجمها الدكتور السيد عمر،[1] خاصة عندما كنا نلحظ بعض الهنات في الترجمة الأولى، مع أننا في كل الأحول كنا نحيل إلى الترجمة الأولى.

أولاً: المفاهيم والمقدمات

نناقش في هذا الفصل مفهوم التنزيه، وأهمية دراسة التنزيه في الفكر الإسلامي، ثم نختم بأسباب دخول التجسيم إلى الفكر الإسلامي، وفيما يأتي تفصيل هذه النقاط.

(١) أخيراً صدرت ترجمة السيد عمر لكتاب "**التوحيد؛ مضامينه على الفكر والحياة**" في القاهرة عن دار مدارات للأبحاث والنشر عام (٢٠١٤م)، وجاءت في ٣٢٨ صفحة، (المحررون).

١- مفهوم التنـزيه

أ- التنزيه في اللغة:

التنـزيه في اللغة من الفعل نزهَ وأصله من البُعد،[١] قال ابن فارس: "النون والزاء والهاء كلمةٌ تدلُّ على بُعدٍ في مكانٍ وغيرِه،"[٢] والتنزه: التباعد،[٣] والنزاهة: البعد عن السوء.[٤] ويقال: إن فلاناً لنزيه كريم، إذا كان بعيداً عن اللؤم. وهو نزيه الخلق. وهذا مكان نزيه؛ أي خلاء بعيد من الناس ليس فيه أحد.[٥] ويقال: تنزهوا بحُرَمكم عن القوم: أبعدوها.[٦] وقال الأَزهري: "تَنزيهُ الله: تبعيدُه وتقديسُه عن الأَنداد والأَشباه."[٧]

وهكذا نجد أن المعنى اللغوي للتنزيه هو البُعد والتبعيد، وأكثر ما يكون عن المستقبحات والمستكرهات أو ما لا يليق.

ب- التنـزيه في الاصطلاح:

ونقصد بالاصطلاح هنا، اصطلاح علماء التوحيد؛ أي: علماء العقيدة الإسلامية، فقد اختلفت كلماتهم في تعريف التنـزيه، وتنوعت حدودهم في

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد. **الصحاح**، تحقيق: خليل مأمون شيحا، بيروت: دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٠٣٤.

(٢) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا. **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م، ج٥، ص٤١٧.

(٣) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني. **الكليّات**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٣م، ص٣١٥. انظر أيضاً:
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ٢٠٠٣م، ص١١٥٤.

(٤) الجوهري، **الصحاح**، مرجع سابق، ص١٠٣٥.

(٥) المرجع السابق، ص١٠٣٥.

(٦) الزمخشري، محمود بن عمر. **أساس البلاغة**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م، ص٧٤٦.

(٧) ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ط١، د.ت، ج١٣، ص٥٤٨.

obeikan.com

ضبطه. فبعضهم قال: هو تبعيد الرب عما لا يليق بالألوهية،[١] وبعضهم قال: التنزيه: عبارة عن تبعيد الله عما لا يجوز عليه من النقائص،[٢] وآخرون عبّروا عنه بنفي نقائص الإمكان والحدوث عن الله تبارك وتعالى،[٣] وثمة علماء نفوا صفات الأجسام عن الله تعالى.[٤] وكما ترى فالعبارات كلها متقاربة في المعنى.

ولعل أدق ما يمكن أن نعرّف به التنزيه هو: نفي سمات الحدوث ونقائص الإمكان عن الباري سبحانه.[٥] والفاروقي وإن لم يقدم لنا تعريفاً محدداً للتنزيه، إلا أن المفهوم من ثنايا كتابه "التوحيد" لا يتعدى ما قاله علماء التوحيد والعقيدة.[٦] ونقيض التنزيه التشبيه والتجسيم.

---

(١) الجرجاني، علي بن محمد. **التعريفات**، تحقيق: عادل أنور خضر، بيروت: دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٧م، ص٦٣.
وقال التفتازاني في عبارة قريبة: "التنزيهات، أي سلب ما لا يليق بالواجب عنه". انظر:
- التفتازاني، مسعود بن عمر. **شرح المقاصد**، تحقيق: صالح موسى شرف، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٩م، ج٥، ص٣١.

(٢) الزمخشري، محمود بن عمر. **الفائق في غريب الحديث**، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، ط٢، د.ت، ج٣، ص٤٢٠. انظر أيضاً:
- الجرجاني، **التعريفات**، مرجع سابق، ص٦٦.

(٣) المناوي، محمد عبد الرؤوف. **التوقيف على مهمات التعريف**، تحقيق: محمد رضوان الداية، دمشق: دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٠هـ، ص١٧٤. انظر أيضاً:
- الجرجاني، **التعريفات**، مرجع سابق، ص٥٦.

(٤) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر. **المطالب العالية من العلم الإلهي**، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م، ج٢، ١٧. انظر أيضاً:
- فخر الدين الرازي، محمد بن عمر. **أساس التقديس**، تحقيق: أحمد حجازي السقا، بيروت: دار الجيل، ط١، ١٩٩٣م، ص١٦.

(٥) فخر الدين الرازي، **المطالب العالية من العلم الإله**، مرجع سابق، ج٢، ص١٩. انظر أيضاً:
- الغزالي، أبو حامد. **الاقتصاد في الاعتقاد**، تحقيق: أنس محمد الشرفاوي، جدة: دار المنهاج، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٠٧-١٤٦.

(٦) الفاروقي، إسماعيل راجي. **التوحيد؛ مضامينه على الفكروالحياة**، ترجمة: وائل الخيري، غير منشور، ص٣٧ - ٥٤.

٢- أهمية دراسة التنـزيه في الفكر الإسلامي

تتلخص أهمية دراسة التنزيه في النقاط الآتية:

أ- تمييز أصول الإسلام عن أصول غيره من الأديان:

يعدّ تنزيه الله سبحانه هو الأساس القويم الذي يقوم عليه الإيمان في الدين الإسلامي الحنيف، وهو المميز الرئيس للعقيدة الإسلامية الغراء في نظرتها للخالق تعالى، يقول الفاروقي: "إن جوهر الإسلام هو: التوحيد؛ أي الشهادة بأن الله تعالى هو الواحد الأحد، المطلق الخالق المتعالي ربّ كل ما في الوجود ومالكه."[١] ويقول أيضاً: "هناك فرق واسع بين اليهودية والمسيحية فيما يتعلق بهذا الموضوع،[٢] فالإسلام يعلن أن تعالى الله وتنزيهه هو موضع اهتمام لجميع البشر."[٣]

ب- تقوية التفكير لدى الفرد المسلم:

إنَّ دراسة التنزيه في العقيدة لها أثر كبير على الرقي بفكر الفرد المسلم؛ إذ يقول الفاروقي: "والله سبحانه وتعالى أنزل الوحي لهداية الإنسان، ومنحه الحواس، والعقل، والفهم، والحدس وكل المقومات والمؤهلات التي يحتاجها؛ لاكتشاف الإرادة الإلهية من تلقاء نفسه من خلال الوحي والكون."[٤] فتنزيه الباري جلّ وعلا يرفع مستوى التفكير لدى الفرد المسلم. ويظهر ذلك من خلال ثلاث نقاط هي:

- إنَّ تنزيه الله سبحانه يتوصل إليه عن طريق العلم النظري، وهو: "العلم

---

(١) المرجع السابق، ص٣٧.

(٢) أي: التنزيه.

(٣) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٥.

(٤) المرجع السابق، ص٢٣.

الذي يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى العلم بمطلوب خبري،"[1] أو هو: "ما احتيج في حصوله إلى الفكر والروية، وكان طريقه النظر والحجة."[2] وهكذا تعرف أن الطريق إلى التنزيه يكون بإعمال العقل، والحجة، والبرهان، والاستدلال، والنظر في نصوص الكتاب، والسنة، واستخلاص القواعد منها، ولا شك في أنَّ ذلك يقوي العقل ويفتق ملكاته، عن طريق المراس على ذكر الحجج، والبحث عن البراهين، وتمييز الصحيح منها من الفاسد.

ويوضح ذلك الفاروقي بقوله: "كل البشر فُطِرُوا على الفهم بدرجة تكفى لمعرفة المشيئة الإلهية بواحدة من طريقتين أو بكلتيهما: الوحي المنزل من عند الله تعالى، واستنباط تلك الإرادة من ملاحظة السنن الإلهية المبثوثة في الكون التي لا تتبدل ولا تتغير."[3]

- إنَّ تنزيه الله سبحانه يقوم على عزل حكم الوهم، والخيال، وعلائق المادة عن ذات الله تعالى. وفي هذا يقول الإمام الرازي: "حكم الوهم والخيال غير مقبول البتة في ذات الله سبحانه وفي صفاته،"[4] ثم يؤكد هذا القول بعد عدة أسطر بقوله: "وذلك هو قول أصحابنا أهل التوحيد والتنزيه الذين عزلوا حكم الوهم والخيال عن ذات الله تعالى وصفاته. وذلك هو المنهج القويم والصراط المستقيم."[5]

---

(١) التفتازاني، مسعود بن عمر. **شرح العقائد النسفية**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ٢٠٠٠م، ص٢٨.

(٢) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب. **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٦م، ص٢٣-٢٤.

(٣) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٢٨.

(٤) فخر الدين الرازي، **أساس التقديس**، مرجع سابق، ص٢٢.

(٥) المرجع السابق، ص٢٢.

ولا شك في أن عزل أحكام الوهم والخيال، تنمي التفكير والقدرة العقلية على التفكير في الأمور الغيبية بعامة عند من يفعل هذا. وأيضاً فإنَّ المنزِّه يعزل أحكام المادة وعلائقها عن الله تعالى وصفاته، فالمحسوسات والماديات لها أحكامها الخاصة بها، وهذه الأحكام لا يجوز إجراؤها على الباري جلَّ وعلا. ولتوضيح ذلك يقول الفاروقي: "ومن الواضح أن الأشعري يريد أن يقول إنه إذا أثرنا السؤال، كيف يكون إسناد الصفة إلى الموصوف، متوقعين الجواب ذاته الذي نحصل عليه عندما نحلل علاقة الصفة بالموصوف في عالم الطبيعة، فلا مفر من التجسيم، وحيث إن الصفة والموصوف متعاليان، فالسؤال نفسه وبهذه الصيغة يصبح باطلاً."[1] فالأحكام المتعلقة بالله تعالى خارجة عن أحكام الوهم والخيال، والحس والمادة، وفي هذا نفع للعقل والتفكير أيما نفع، وفتح لأفاق جديدة[2] يطرقها المسلم ما كان ليطرقها لولا تنزيهه لله سبحانه.

- إن تنزيه الله مبني عند المنزِّه على معرفته أحكام المعلوم العقلي، فالمنزِّه -أثناء إعداد بحوثه في التنزيه- نجده يقسم المعلوم في العقل إلى واجب وممكن ومستحيل.[3] وتراه حينما يبحث في الإلهيات يأخذ، أثناء وضعه لقواعده بعين الاعتبار، ما يجب لله سبحانه، وما يجوز، وما يستحيل في حقه،[4] فلا يخلط بين هذه الأحكام شأن الذين ابتعدوا عن التنزيه، فشبّهوا الله جل وعلا بخلقه وجسّموه.

---

(١) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٩.

(٢) كتوسيع دائرة الفكر والنظر خارج نطاق الممكنات، والدخول إلى دائرة الواجب والمستحيل العقليين.

(٣) فالواجب: "ما لا يقبل النفي"، والممكن: "ما يقبل الوجود والنفي"، والمستحيل: "ما لا يقبل الوجود" انظر:
- الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد. **المواقف في علم الكلام**، بيروت: عالم الكتب، د.ت، ص٦٨-٧٨.

(٤) الصاوي، أحمد بن محمد. **شرح الصاوي على جوهرة التوحيد**، تحقيق: عبد الفتاح البزم، دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٩٩٧م، ص١٠٢-١٠٥.

ويوضح ذلك الفاروقي بقوله: "العلاقة بين نظامي الخالق والمخلوق فكرية تصورية في طبيعتها، وركيزة مرجعيتها في الإنسان هي مَلَكة الفهم. ويشمل الفهم بوصفه أداة للمعرفة، ومستودعاً لها كافةَ الوظائف المعرفية، كالذاكرة، والتخيّل، والتفكير، والملاحظة، والحدس، والإدراك، وما شاكل ذلك."[١]

ومعرفة هذه الأحكام تجعل عقل الفرد المسلم منظماً، وبعيداً عن الخلط والغلط، ومن ثمّ فإن التفكير السليم يسير عنده إلى أبعد مدى، فلا يحكم لخالقه بأمور مستحيلة عليه، ولا ينفي عنه أموراً واجبه له.

ت- حسن التعامل مع النصوص الشرعية:

إنَّ معرفة التنزيه يؤدي إلى حسن التعامل مع النصوص الشرعية، وفي ذلك يقول الفاروقي، بعد أن ذكر الآيات الدالة على الأمر الإلهي بالمحافظة على سمو اللغة العربية: "لقد امتثل المسلمون لهذه الأوامر، وعدّوا النص العربي هو الأصل القرآني، أما ما تم نقله إلى اللغات الأخرى، فبمثابة ترجمة للمعاني تساعد على فهم النص، لا على أنها نص أصلي،"[٢] ونتيجة لذلك "بات كل حديث للمسلمين عن الله تعالى محصوراً فيما جاء عنه بالقرآن الكريم، بل مقتبس منه وملتزم بالمعايير العربية القرآنية والتعبيرات اللغوية العربية."[٣]

ث- تعويد المسلمين الدقة في التعبير عن المعاني المتعلقة بالخالق جلّ جلاله:

لا شك في أن اللغة العربية هي لغة الخطاب الديني في الإسلام، واستحضار التنزيه أثناء التعبير بها عن الخالق المتعالي يجعل المسلم يحصر نفسه في التعابير الشرعية ويلتزم بها، والفاروقي ينبه على ذلك بقوله: "ومن أجل تطهير

(١) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٢٩.

(٢) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٧.

(٣) المرجع السابق، ص٤٨.

الوعي الديني من الشرك على نحو لا رجعة فيه، أكّد الإسلام على التزام الدقة البالغة في استعمال المفردات اللغوية، على نحو يليق بالمدركات المتعلقة بذات إلهية متفردة منقطعة النظير."[١]

من أجل هذا نجد أنَّ الإسلام اعتمد اللغة العربية في أداء العبادات، وشدد على تنقية اللغة من أية ألفاظ تخدش التنزيه عند التعبير بها عن الخالق سبحانه، ويشرح ذلك الفاروقي بقوله: "فقد أولى الإسلام اللغة عناية خاصة، وشدّد في استعمال الكلمات والأفكار المتعلقة بوحدانية الله تعالى، فألفاظ "الأب" "الشفيع" "المخلّص" "الابن" أُلغيت كلياً من المعجم الديني للإسلام، وتمّ تأكيد مفاهيم وحدانية الذات الإلهية وتعاليها."[٢]

٣- أسباب دخول التجسيم إلى الفكر الإسلامي

لقد نبه الفاروقي إلى أهم أسباب دخول التجسيم والتشبيه إلى العقيدة الإسلامية، لكنه لم يفصّلها التفصيل الذي فصّله علماء التوحيد، فمثلاً نجده يقول بإيجاز: "لذا فالإسلام يعتبر أي انحراف عن هذا الإدراك هو من عمل البيئة أو التاريخ، فالنسيان والخمول والعاطفة والمصالح المكتسبة، هي الأسباب التي تقف وراء هذه الانحراف (في فهم التنزيه)."[٣] لكننا آثرنا تفصيل هذه الأسباب لفائدتها وقلة معرفة الباحثين بها.

أ- انتشار العجمة وضعف اللغة:

وكان ذلك نتيجة لانتشار الإسلام السريع بين أمم الأرض، ومعلوم أن لغة الإسلام هي اللغة العربية، ولذا بدأ الأعاجم يتعلمون اللغة العربية لغة الدين الجديد. وقد انتشر اللحن نتيجة لاختلاط العرب بهؤلاء الأعاجم وذهاب الجيل

(١) المرجع السابق، ص٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠.

(٣) المرجع السابق، ص٤٥.

الأول من أهل الإسلام أهل السليقة السليمة. ومعلوم أن لغة القرآن لغة الدقة والإيجاز والاستعارات والكنايات، فإذا قصّر أي شخص عن معرفتها قصّر عن جني ثمار نصوص الكتاب والسنة.

يقول الفاروقي: "وهكذا استخدم القرآن لغة تشير إلى موجودات -أرقام وعلاقات كونية- ولكن في سياق التأكيد على النفي القاطع لانطباقها على الذات الإلهية المطلقة، ولو على سبيل التبسيط. إلا أنه بمرور الوقت، وقع بعض المسلمين من غير الناطقين باللغة العربية، في خطأ التشبيه، لدى محاولتهم تحقيق درجة أعلى من المعرفة الخصوصية بالتعاليم القرآنية."[1] ومن هذا الباب ما وقع به كثير من رواة الحديث؛ إذ نسبوا إلى الله تعالى الجوارح، والحدّ، والحركة، والسكون، والصعود، والنزول وغيرها.

ب- رواية اليهود وغيرهم من أهل الأديان الذين أسلموا عن كتبهم الأولى المحرفة، والتأثر بأفكارهم السابقة:

وهذه الجزئية مهمة جداً في هذا الباب، فقد ثبتَ أن كثيراً من الذين أسلموا سواء من اليهود أم النصارى، رووا أفكاراً كانوا عليها قبل الإسلام، بل فسّروا نصوص الإسلام طبقاً لآرائهم هذه.[2] وينبه الفاروقي إلى هذا السبب بقوله: "ولما كان هؤلاء المسلمون الجدد قد تحولوا إلى الإسلام من أديان شاعت فيها النزعة التشبيهية التجسيدية للإله، فإنه كان من الصعب على أمثالهم أن ينفضوا أيديهم تماماً من نزعة التشبيه التي خامرت عقولهم قبل إسلامهم."[3]

ت- رواية الصحابة ﷺ عن اليهود الذين أسلموا:

ذلك أن عدداً من الصحابة ﷺ رووا عن بعض أحبار اليهود، يقول الذهبي:

---

(١) المرجع السابق، ص٤٨.

(٢) المرجع السابق، ص٤٣.

(٣) المرجع السابق، ص٤٨.

"إن كعباً جالس أصحاب محمد ﷺ فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية،"[١] كما نبّه التابعي بسر بن سعيد على خلط الناس كلام كعب بكلام الرسول ﷺ، وكلام الرسول ﷺ بكلام كعب، حين كان أبو هريرة يروي عن كعب وعن رسول الله ﷺ في مجلس واحد، ويحصل الخلط بعد أن يقوم من مجلسه.[٢] فقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "خرجت إلى الطور فلقيت كعب الأحبار فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله ﷺ..."[٣]

وخير مثال يوضح ذلك ما رواه الحاكم عن عبد الله بن سلام قال: "إذا كان يوم القيامة جيء بنبيكم -ﷺ فأقعد بين يدي الله -سبحانه وتعالى- على كرسيه،"[٤] ومسألة الإقعاد منه انتقلت إلى مجاهد الذي أخذ يلهج بها،[٥] وعنهم تلقفها كثير من المجسمة، فهكذا نجد أن ابن سلام قد فسّر قول الله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]. بأن المقام المحمود هو: جلوس النبي عليه السلام مع الله تعالى على الكرسي يوم القيامة،[٦] وهذا مناقض للتنزيه الإلهي، فقد فسر علماء الأمة المقام المحمود بأنه الشفاعة.[٧]

---

(١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٣، ص٤٨٩.

(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **التمييز**، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الرياض: طبعة جامعة الرياض، ط١، ١٩٧٥م، ص١٢٨.

(٣) الشيباني، أحمد بن حنبل. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت، ج٢، ص٤٨٦، حديث رقم ١٠٣٠٨.

(٤) النيسابوري، عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم. **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م، ج٤، ص٥٦٨.

(٥) الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٥م، ج١٥، ص١٤٨.

(٦) الذهبي، محمد بن أحمد. **العلو للعلي الغفار**، تحقيق: حسن السقاف، عمّان: دار الإمام النووي، ١٩٩٨م، ص٤٤٤-٤٤٨.

(٧) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. **التفسير الكبير**، بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٩٧م، ج٧، ص٣٨٧.

ث- الرواية بالمعنى:

إن أخطر شيء على أحاديث الصفات هو روايتها بالمعنى، وخاصة إذا كان من يرويها قليل العلم بعلم أصول الدين، شأن كثير من الرواة، ولهذا كانت الرواية بالمعنى في هذا الباب جالبة لكثير من الإشكالات. ومن الأمثلة على ذلك: روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث المغيرة وفي صحيح البخاري معلقاً عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك -واللفظ لمسلم- أن رسول الله ﷺ قال: "لا شخص أغير من الله، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله."(١) قال ابن الجوزي: "لفظة الشخص يرويها بعض الرواة ويروي بعضهم "لا شيء أغير من الله" والرواة يروون بما يظنون به المعنى، فيكون لفظ "شخص" من تغيير الرواة."(٢)

ثانياً: التنـزيه عند غير المسلمين

بيّن الفاروقي انزلاق اليهودية، والمسيحية إلى التشبيه والتجسيم وانحرافهما عن التنزيه، بل عدَّ هذا الانحراف أكثر المخالفات خطورة من وجهة نظر الشرع وأقلها قابلية للمغفرة. يقول: "والإسلام وإن اتفق مع اليهودية والمسيحية في الأسس والأصول، فقد خالفهما في قضايا عدّة، وحاول إصلاح أو تصويب ما لابسهما من الانحرافات التاريخية، وأكثر هذه المخالفات خطورة من وجهة نظر الشرع، وبذلك أقلها قابلية للمغفرة من جانب الله تعالى، حددها الإسلام في إساءة فهم معنى التعالي الإلهي، وتشبيه الخالق بالمخلوق."(٣) بل إن الفاروقي

---

(١) النووي، **شرح صحيح مسلم**، مرجع سابق، ج١٠، ص٣٧١. انظر أيضاً:
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٩٦٩م، ج١٣، ص٣٩٩.

(٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. **دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه**، تحقيق: حسن بن علي السقاف، عمّان: دار الإمام النووي، ط١، ١٩٩٢م، ص١٦١.

(٣) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤١.

يرى أن رسالة الإسلام، التي هي آخر الرسالات السماوية، جاءت لتصحح الانحراف في التنزيه الذي أصاب هاتين الديانتين.[1] وحتى نعرف مدى انحراف هاتين الديانتين عن التنزيه فلا بدَّ من التفصيل.

١- التنـزيه في اليهودية

فاليهود -كما يقول علماء التوحيد- بلغوا الغاية القصوى في تشبيه الله تعالى، ووصفه بصفات المحدثات، بل لقد أجروا عليه صفات النقص، وإلى هذا يشير الإمام الشهرستاني فيقول: "ولقد كان التشبيه صرفاً خالصاً في اليهود لعنهم الله... ."[2] ثم أكد على هذا المعنى بعد صفحات فقال عنهم: "فإن التشبيه فيهم طباع."[3]

ولقد نبه الفاروفي إلى جملة من الأفكار والمبادئ التي خرق اليهود بها سياج التنزيه، ووصفوا الله تعالى بصفات الحوادث والممكنات، ودلل على ذلك بأدلة من عهدهم القديم، لا تقبل الشك ولا الريب، ومن هذه الأدلة التي ذكرها رحمه الله ما يأتي:

أ- تحدثوا عن الرب بصيغة الجمع فى ثنايا التوراة كلها، وادّعوا أن أبناء الله تزوجوا من بنات البشر:[4]

وبالفعل نجد ذلك في توراتهم فقد ورد في سفر التكوين: "وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، وولد لهم بنات، أن أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. فقال الرب لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد، لزيغانه هو بشر. وتكون أيامه مئة وعشرين سنة كَانَ فِي

(١) المرجع السابق، ص٤٠.

(٢) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم. **الملل والنحل**، تحقيق: أحمد فهمي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ج١، ص٨٠.

(٣) المرجع السابق، ج١، ص٩٦.

(٤) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤١.

الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّام. وَبَعْدَ ذلكَ أَيْضاً إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ."[١]

ب- زعموا أن يعقوب وزوجه سرقوا آلهة لَابَان؛ لأنهما يقدسانها:[٢]

ونقرأ ذلك في سفر التكوين: "وَالآنَ أَنْتَ ذَهَبْتَ لأَنَّكَ قَدِ اشْتَقْتَ إِلَى بَيْتِ أَبِيكَ، وَلكِنْ لِمَاذَا سَرَقْتَ آلِهَتِي؟ فَأَجَابَ يَعْقُوبُ وَقَالَ لِلاَبَانَ: إِنِّي خِفْتُ لأَنِّي قُلْت لَعَلَّك تَغْتَصِبُ ابْنَتَيْكَ مِنِّي... الَّذِي تَجِدُ آلِهَتَكَ مَعَهُ لاَ يَعِيشُ. قُدَّامَ إِخْوَتِنَا انْظُرْ مَاذَا مَعِي وَخُذْهُ لِنَفْسِكَ. وَلَمْ يَكُنْ يَعْقُوبُ يَعْلَمُ أَنَّ رَاحِيلَ سَرَقَتْهَا. وَكَانَتْ رَاحِيلُ قَدْ أَخَذَتِ الأَصْنَامَ وَوَضَعَتْهَا فِي حِدَاجَةِ الْجَمَلِ وَجَلَسَتْ عَلَيْهَا."[٣]

ت- صوروا الإله شبحاً يقابله يعقوب وجهاً لوجه، ويصارعه ويكاد يصرعه:[٤]

ورد ذلك أيضاً في سفر التكوين: "فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ. فَقَالَ: لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي. فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: يَعْقُوبُ. فَقَالَ: لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ. وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ. فَقَالَ: لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟ وَبَارَكَهُ هُنَاكَ."[٥]

---

(١) الكتاب المقدس. **العهد القديم**، بيروت: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط١، ١٩٩٥م، سفر التكوين: ٦/ ١-٤.

(٢) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٢.

(٣) الكتاب المقدس، **العهد القديم**، سفر التكوين: ٣١/٣٠-٣٤.

(٤) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٢.

(٥) الكتاب المقدس، **العهد القديم**، سفر التكوين: ٣٢/ ٢٢-٣٠.

ث- قالوا: إن الله تعالى هو أبٌ لملك اليهود:[١]

ففي المزامير: "إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك."[٢] "هو يدعوني أبي أنت إلهي وصخرة خلاصي."[٣] وفي سفر صموئيل الثاني: "هو يبني بيتاً لأسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد. أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً."[٤]

ج- ذهبوا إلى القول بأن الرب هو والد أمتهم بالمعنى الحرفى للكلمة:[٥]

ففى سفر هوشع نقرأ: "لكن يكون عدد بنى إسرائيل كرمل البحر الذى لا يُكال ولا يُعدّ، ويكون عوضاً عن أن يقال لهم، لستم شعبي، يقال لهم: أبناء الله الحي."[٦] وفى سفر أشعياء: "لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديرا أباً أبدياً رئيس السلام."[٧] وفيه أيضا نطالع: "فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرنا إسرائيل. أنت يا رب أبونا منذ الأبد اسمك."[٨]

هذه هي الأمثلة التي نبّه عليها الفاروقي رحمه الله، غير أن هناك أمثلة أخرى جديرة أن تذكر، فيما يأتي أهمها:

ح- وصفوا الله بالمكان والجهات:

فهو عندهم يجلس على عرشه، ففي التوراة: "الله يملك على الأمم. ويجلس

---

(١) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٢.

(٢) الكتاب المقدس، **العهد القديم**، سفر المزامير: ٢/ ٧-٨.

(٣) المرجع السابق، سفر المزامير: ٨٩/ ٢٩.

(٤) المرجع السابق، سفر صموئيل الثاني: ٧/ ١٣-١٤.

(٥) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٢.

(٦) الكتاب المقدس، **العهد القديم**، سفر هوشع: ١/ ١٠.

(٧) المرجع السابق، سفر أشعياء: ٩/ ٦.

(٨) المرجع السابق، سفر أشعياء: ٣٦/ ١٦.

على عرشه المقدس،"[١] ومختص بجهة فوق؛ ففي سفر أيوب: "ليكن ذلك النهار ظلاماً لا يتعهده الله من فوق."[٢] ولم يكتفوا بذلك بل جعلوه في السحاب وفي النار...؛ ففي سفر الخروج: "وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود من سحاب، ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود من نار، ليضيء لهم."[٣]

خ- وصفوا الله بالتغيّر والانتقال وأجازوا عليه ذلك:

فقد وصفوه بالحركة والسكون، والصعود والنزول؛ ففي سفر الخروج: "ونزل الرب على رأس جبل سيناء، ونادى موسى إلى رأس الجبل فصعد،"[٤] وفي سفر التكوين: "ونزل الرب لينظر المدينة والبرج...."[٥] وفيه أيضاً: "قال الله لإبراهيم هذا الكلام وارتفع عنه."[٦] ومن تطاولهم على الله أنهم قالوا عنه إنه يمشي ويتحرك؛ ففي سفر التكوين: "وسمع آدم وامرأته صوت الرب الإله وهو يتمشى في الجنة عند المساء،"[٧] وفي الخروج: "وكان الرب يسير أمامهم...."[٨]

د- أجازوا على الله الانفعالات النفسية:

فقد أجازوا على الله سبحانه الندم؛ ففي سفر التكوين: "فندم الرب أنه صنع الإنسان،"[٩] وكذلك الغيظ؛ ففي سفر التثنية على لسان موسى: "لأني خفت من

(١) المرجع السابق، سفر المزامير: ٤٧/ ٩.

(٢) المرجع السابق، سفر أيوب: ٣/ ٤.

(٣) المرجع السابق، سفر الخروج: ١٣/ ١٢. انظر أيضاً:
- سفر العدد: ٩/ ١٥ و١٢/ ٥.

(٤) المرجع السابق، سفر الخروج: ١٩/ ٢ و٣/ ٨.

(٥) المرجع السابق، سفر التكوين: ١١/ ٥.

(٦) المرجع السابق، سفر التكوين: ١٧/ ٢٢.

(٧) المرجع السابق، سفر التكوين: ٣/ ٨.

(٨) المرجع السابق، سفر الخروج: ١٣/ ٢١.

(٩) المرجع السابق، سفر التكوين: ٦/ ٦.

غضب الرب وغيظه عليكم، ليبيدكم فسمع لي الرب هذه المرة أيضاً."[١]

ذ- وصفوا الله بصفات النقص:

فقد وصفوه -تعالى الله عما يصفون- بالجهل، فهو لا يعرف أين مكان آدم وحواء عندما اختبآ، وأخذ ينادي عليهما.[٢] كما وصفوه بالتعب ففي سفر التكوين: "وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، واستراح في اليوم السابع من جميع ما عمله."[٣]

ر- جعلوا لله تعالى صورة على مثال صورهم (تعالى الله عن ذلك):

ففي سفر التكوين: "وقال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا... فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلق البشر."[٤] وحتى يدعموا هذا المعتقد الفاسد أضافوا لله سبحانه مثل أعضائهم فزعموا أن له وجهاً؛ ففي سفر المزامير: "أَنِرْ بوجهك على عبدك،"[٥] ويداً؛ ففي سفر أيوب "فثقل يدِ الله يثير أنيني،"[٦] وذراعاً؛ ففي السفر نفسه: "أمثل ذراع الله ذراعك،"[٧] وساعداً؛ ففي سفر المزامير: "بل بيمينك وساعدك ونور وجهك...،"[٨] وعينين وأذنين؛ ففي أخبار الأيام الثاني: "والآن، فعيناي مفتوحتان على هذا المكان، وأذناي مصغيتان إلى كل صلاة تقام فيه،"[٩] بل جعلوا له قلباً؛ ففي السفر ذاته: "وستكون عيناي

(١) المرجع السابق، سفر التثنية: ٩/ ١٩.

(٢) المرجع السابق، سفر التكوين: ٣/ ٨-١٠.

(٣) المرجع السابق، سفر التكوين: ٢/ ٢.

(٤) المرجع السابق، سفر التكوين: ١/ ٢٦ - ٢٧، انظر أيضاً: ٥/ ٢، و٩/ ٦.

(٥) المرجع السابق، سفر المزامير: ٣١/ ١٧.

(٦) المرجع السابق، سفر أيوب: ٢٣/ ٢.

(٧) المرجع السابق، سفر أيوب: ٤٠/ ٩.

(٨) المرجع السابق، سفر المزامير: ٤٤/ ٤.

(٩) المرجع السابق، سفر أخبار الأيام الثاني: ٧/ ١٥.

عليه وقلبي معه."[١]

تلكم بعض شناعات اليهود التي تدل إلى أي درك وصل تخلفهم، وانحرافهم عن التنزيه في تصورهم لله جل في علاه، وكيف وصفوه بصفات المحدثات والنقص، تعالى الله سبحانه عما يقولون علواً كبيراً. يقول الفاروقي بعد ذلك: "إن إلهاً بهذا المفهوم، هو -ولا شك- غير الله المتعالي المرتسم في الوعي السامي الذي جاء بصفاته الوحي المعصوم."[٢]

بقي أن أنبه أن بعض علماء اليهود لـمّا رأى أنوار التنزيه عند المسلمين حاول أن ينقلها إلى دينه، وأخذ يؤول هذه الألفاظ الواردة في التوراة بتمحّل؛ لأن سياقاتها لا تحتمل التأويل، وخير مثالين يمثلان هذا الاتجاه اليهودي المتأثر بالتنزيه الإسلامي ابن ميمون (توفي ٦٠٠هـ) في دلالة الحائرين، وابن ملكا (توفي ٤٥٧هـ) في المعتبر في الحكمة.

٢- التنـزيه في المسيحية

على الرغم من أننا نستطيع أن نلزم المسيحية ما أُلزمت به اليهودية؛ ذلك أنهم يرون أن العهد القديم يشكل جزءاً من تراثهم الديني الذي به يؤمنون،[٣] فنستطيع إلزامهم بكل الأمثلة السابقة بسبب إيمانهم بالعهد القديم.

أما بالنسبة للأفكار التي تفرد بها المسيحيون عن اليهود، فإننا نجدهم بعيدين

(١) المرجع السابق، سفر أخبار الأيام الثاني: ٧/ ١٦.

(٢) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٢.

(٣) يقول بولس إلياس: "يرتكز الدين المسيحي على الوحي الذي أنزله الله على البشر بواسطة أنبيائه ورسله في العهدين القديم والجديد". انظر:
- إلياس، بولس. **خلاصة الدين المسيحي؛ تعليم مسيحي للصفوف العليا والجامعيين**، بيروت: دار المشرق، ط٤، ١٩٩١م، ص٧.
ويقول أوغسطينيوس عن العهدين: "الجديد مختبئ في القديم وفي الجديد يتكشف القديم". انظر:
- الكنيسة الكاثوليكية. **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية**، ترجمة: حبيب باشا، يوحنا منصور، كيرلس سليم يسترس، حنا الفاخوري، جونية-لبنان: المكتبة البولسية، ط١، ١٩٩٩م، ص٦٣.

كل البعد عن تنزيه الله تعالى عن صفات الحوادث والأمور المستحيلة عليه أكثر من اليهود، وإلى ذلك يشير الفاروقي بقوله: "إن إساءة المسيحية لفكرة التعالي والتنزيه كانت أخطر وأسوأ."[١]

ويتمثل السوء والخطر اللذان أشار لهما الفاروقي، في أن عقائد المسيحيين التي تفردوا بها، لا تحيل إلى أية إشارة لها في صفحات العهد القديم، ولا في أقول المسيح عليه السلام، ولا في أقوال تلاميذه، وإنما اعتمدوا في اختراعها على بولس الرسول، وآباء الكنيسة، ومجامعها المسكونية في القرون التالية للمسيحية الأولى.[٢] لأجل ذلك سيكون اعتمادنا فيما نورده من عقائدهم على كتبهم المعتمدة لديهم، دون الإشارة إلى استدلالهم عليها من نصوص الكتاب المقدس, ذلك أن معظم هذه النصوص لا يُسلَّم لهم المعنى والتفسير الذي استنبطوه منها.[٣]

وقد أبدع الفاروقي في الإشارة إلى صور انحراف المسيحية عن التنزيه، وتوسع في بيانها والإشارة إليها. ومن صور هذا الانحراف ما يأتي:

أ- ادعاؤهم بأن لله ولداً:

وضَّح الفاروقي هذا الإدعاء بقوله: "وجّه الإسلام التهمة للمسيحية بأنها طورت الفكرة المنحرفة بأبوة الإله لملك اليهود، وإسباغها على عيسى عليه السلام، ثم إعطاء هذه الفكرة المضمون الكينوني المزيل للتعالي والقائل بوحدة الجوهر بين الإله وعيسى."[٤] فهم حقاً يعتقدون أن سيدنا المسيح هو ابن الله، يقول سمعان بطرس -مخاطباً المسيح-: "أنت المسيح ابن الله الحي،"[٥] وجاء

(١) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٢.

(٢) الطهطاوي، محمد عزت. **الميزان في مقارنة الأديان**، دمشق: دار القلم، ١٩٩٣م، ص٩٧-٩٨.

(٣) الطهطاوي، محمد عزت. **النصرانية في الميزان**، دمشق: دار القلم، ١٩٩٥م، ص١٥-٣٠.

(٤) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٢.

(٥) الكتاب المقدس. **العهد الجديد**، لبنان: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط١، ١٩٩٣م، إنجيل متّى: ١٦/ ٦.

في قانون إيمان الرسل: "أؤمن بالله... وبيسوع المسيح ابنه الوحيد ربنا،"[١] ثم نراهم بعد ذلك يصبغون صفات الألوهية على هذا الابن، فهم يقولون عنه: "هو الله الصادر عن الله، نور ومولود من النور، إله حق، صادر عن الله الحق."[٢]

والناظر إلى كلامهم هذا يدرك أن النصرانية قد انحرفت عن التوحيد إلى التعدد في الآلهة.

ب- تجويزهم الألم والموت على الله سبحانه:

بيّن الفاروقي مصدر هذه الفكرة بقوله: "إن المصدر الحقيقي لهذه الفكرة يكمن في تأثير المعتقدات الباطنية السرية غير السامية، فمنها أخذت المسيحية "إلهها المتألم"، الذي يخلص بموته وعودته إلى الحياة، كما يمنح النعم الإلهية لأتباعه بواسطة القرابين."[٣]

وما قاله الفاروقي دقيق للغاية، فالنصارى يقولون إن المسيح هو الله، والله هو المسيح، فهم يعتقدون أن صورة الله في الأرض هي المسيح، وأن المسيح له من الصفات الإلهية مثل ما لله.[٤] ويظهر هذا من رسالة بولس إلى كنيسة روما: "فإذا شهدت بلسانك أن يسوع رب، وأمنت بقلبك أن الله أقامه من بين الأموات، نلت الخلاص."[٥]

وبالنسبة للألم فالنصارى يعتقدون أن الله سبحانه يتألم، بل ويتألم معهم في كل لحظة. يقول جوزيف راتسنجر: "الله يتألم ويقوم فينا في كل

(١) الكنيسة الكاثوليكية، **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية**، مرجع سابق، ص٧٩.

(٢) المرجع السابق، ص٧٩. انظر أيضاً:
- الكنيسة الكاثوليكية. **أؤمن "الوجيز في التعليم المسيحي الكاثوليكي"**، أذن بطبعه: سليم الصايغ، عمّان: د.ن، ٢٠٠٠م، ص٢٥.

(٣) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٢.

(٤) الكنيسة الكاثوليكية، **أؤمن**، مرجع سابق، ص٢٥.

(٥) الكتاب المقدس، **العهد الجديد**، مرجع سابق، رسالة بولس إلى رومة: ١٠/ ٩.

لحظة،"[1] ويقول بعد ذلك بأسطر: "وما أيسر احتمال الآلام عندما يوقنون أن المسيح تألم قبلهم وهو يتألم الآن معهم."[2] وبلغ بهم الأمر أنهم أجازوا على الله سبحانه الموت، يقول جوزيف راتسنجر: "لقد دنا الله منا إلى درجة أصبح من الممكن لنا معها أن نقتله."[3]

ت- ادعاؤهم التثليث:

عقيدة التثليث عند النصارى من أعوص العقائد عندهم، حتى إن كثيراً منهم يعترف بذلك، فتارة ترميهم في تعدد الآلهة، وعلى أحسن الأحوال تجعل الله سبحانه في معتقدهم مركب من أجزاء ثلاثة. لذا نجد وصفاً دقيقاً لهذه الفكرة في قول الفاروقي: "والتثليث في المسيحية أكّد على أشخاص ثلاثة، كل واحد منهم إله". كما شدد على أن الإله أصبح إنساناً، وبهذا انتهكت وحدانية الله وتعاليه، والكمال المطلق للذات الإلهية.[4]

جاء في التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: "فالله واحد، ولا يوجد إلا إله واحد. والإيمان المسيحي يعترف أنه لا يوجد إلا إله واحد، واحد بطبيعته وجوهره وطبيعته وأنيته،"[5] ولكن وفي هذا الكتاب نفسه نجدهم ينقلون عن داما سيوس: "أن الله واحد ولكنه غير متوحد،"[6] ثم يقولون: "الثالوث الأحدي الجوهر."[7]

---

(١) سيرسن، سليم. **اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر؛ سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم رقم ٢**، بيروت: المكتبة البولسية، ط٢، ١٩٨٩م، ص١٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٣.

(٣) المرجع السابق، ص١٣. انظر أيضاً:
- إلياس، **خلاصة الدين المسيحي**، مرجع سابق، ص٥٣.

(٤) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٥٢.

(٥) الكنيسة الكاثوليكية، **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية**، مرجع سابق، ص٨٦.

(٦) المرجع السابق، ص٩٨.

(٧) المرجع السابق، ص٩٨

ولو طلبنا منهم أن يفسروا لنا ذلك لقالوا: "إننا لا نعترف بثلاثة آلهة بل إله واحد بثلاثة أقانيم."[١] ولو سألناهم بأن هذا الإله ذو الجوهر الواحد -بناءً على كلامهم- هل أقانيمه الثلاثة متشابهة وغير مميزة؟! وهل هي كيفيات للإله الواحد الذي تؤمنون به؟! لقالوا: "إنه أب، وابن، وروح قدس ليسوا مجرد أسماء دالة على كيفيات للكائن الإلهي؛ إذ إنهم متميزون تميزاً حقيقياً في ما بينهم الذي هو الابن ليس الأب، والذي هو الأب ليس الابن، ولا الروح القدس هو الأب والابن"، إنهم متميزون فيما بينهم بعلاقات، مصدرهم "الأب هو الذي يلد، والابن هو المولود، والروح القدس هو الذي ينبثق."[٢]

وبعد هذا لا يشك عاقل في أن هذا الكلام هو التعدد في الآلهة، ونقض أخص وصف لله سبحانه الذي هو الوحدانية، لذا نجد أن الفاروقي قد اتهمهم صراحة بتعدد الآلهة، فقد اتهم علماء اللاهوت أنهم "بحثوا في التوراة عن أدلة تفيد معنى التعدد للإله، وقد اعتقد القديس أوغسطين، وترتوليان، وكثيرون غيرهما أنهم وجدوا في التعبير بصيغة الجمع المستعمل في سفر التكوين "لنصنع الإنسان على صورتنا"[٣] البرهان على أن الله ثلاثة، وبقي هذا بوصفه برهاناً يحتج به المسيحيون حتى يومنا هذا."[٤]

على أننا نجدهم يقولون: "الأب كله في الابن، وكله في الروح القدس، والابن كله في الأب، وكله في الروح القدس، والروح القدس كله في الأب، وكله في الابن."[٥] وهذا هو التركيب والتجزؤ بعينه.

---

(١) المرجع السابق، ص٩٨

(٢) المرجع السابق، ص٩٨.

(٣) الكتاب المقدس، **العهد القديم**، مرجع سابق، سفر التكوين: ٦/١.

(٤) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٣.

(٥) الكنيسة الكاثوليكية، **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية**، مرجع سابق، ص٩٩.

ث- وصفه الذات الإلهية بالذكورة والأنوثة:

يتهم الفاروقي أحد علماء اللاهوت بأنه يقول: "إن الذكورة والأنوثة متأصلة في الطبيعة الإلهية"، وينقل الفاروقي عن كارل بارث بأنه "الذى يدعى بلا أي حياء أن الذكورة والأنوثة متأصلة في الطبيعة الإلهية، مستدلاً بورود عبارة "ذكرا وأنثى خلقهم"، بعد تلك العبارة المقتطفة من سفر التكوين مباشرة.[١] فهو عدّ العبارة التالية للعبارة الأولى المنتهية بلفظ (صورته)، بياناً لها، وهى تشير من ثمّ إلى الذكورة والأنوثة بوصفها مقومات للصورة الإلهية.[٢]

ج- التجسد:

ومعنى التجسد حسبما توضحه الكنيسة هو: "كون ابن الله اتخذ طبيعة بشرية، لكي يحقق فيها خلاصنا؛"[٣] أي يتحول من الطبيعة الإلهية إلى الطبيعة البشرية.[٤] يقول الفاروقي: "إن المسيحية الكاثوليكية عرّفت نفسها بهذا الالتزام بوحدة الجوهر بين الإله وعيسى، مع تمّيزها لتعدد شخصيتهما وطبعهما ووعيهما."[٥]

لذا فإن النصارى يعتقدون تجسد الله سبحانه في العذراء مريم عليها السلام؛ ففي قانون إيمان نيقيه: "... نزل من السماء بالروح القدس، تجسد من البتول مريم، وصار إنساناً..."[٦] ويوضح لنا توماس اليسوعي ذلك بقوله: "نؤمن بأن

---

(١) الكتاب المقدس، **العهد القديم**، مرجع سابق، سفر التكوين: ١/ ٢٨.

(٢) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٣.

(٣) الكنيسة الكاثوليكية، **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية**، مرجع سابق، ص١٥٢.

(٤) وبعبارة كلامية أدق يكون معنى التجسد: أن يصبح القديم حادثاً أو أن يقبل القديم الحدوث.

(٥) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٢.

(٦) الكنيسة الكاثوليكية، **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية**، مرجع سابق، ص٧٩.

رسالة الله الأزلية وغير المخلوقة تجسّدت وسكنت بيننا في شخص الإنسان يسوع."[١]

ويشرح لنا بولس إلياس سبب هذا التجسّد فيقول: "تجسّد ابن الله يسوع المسيح وصار إنساناً، ليكون قدوة للبشر، يقتدون بها في علاقاتهم مع الله ومع بعضهم بعضاً."[٢] ويحاول أن يبين لنا جوزيف راتسنجر الحكمة من هذا التجسّد قائلاً: "إن تجسّد الله في يسوع المسيح الذي تلاقى الله الخالد، والإنسان الزمني في شخص واحد ليس سوى الإنجاز النهائي لسيطرة الله على الزمن."[٣]

ونجد الفاروقي يلخص مناقشاتهم بقوله: "فعيسى عليه السلام، بحسب اعتقادهم، هو إنسان وإله، وهم لم يتفقوا بشكل قاطع حول ألوهية أو إنسانية عيسى عليه السلام دون اتهامات الهرطقة، ولذلك بدت لغتهم في أفضل الأحوال غير واضحة."[٤]

حـ- قولهم بالحلول والاتحاد:

والنصارى يؤمنون بحلول الله سبحانه واتحاده بجسد السيد المسيح عليه السلام. فهم يقولون: "كان يسوع يتّحد بالله اتحاداً مغايراً... ."[٥] ويفلسف هذا الاعتقاد سليم سيرسن قائلاً: "في شخص يسوع المسيح وجدت طبيعة بشرية خالصة كاملة، فإن خلاص الإنسان هو قبل كل شيء خلاص كياني،

---

(١) اليسوعي، توماس ميشيل. **مدخل إلى العقيدة المسيحية**؛ ترجمة: كميل حشمية اليسوعي، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٣م، محاضرات ألقيت في كلية الشريعة الإسلامية بأنقرة، ص٥٥.

(٢) إلياس، **خلاصة الدين المسيحي**، مرجع سابق، ص٥٢-٥٣.

(٣) راستنجر، جوزيف. **مدخل إلى الإيمان المسيحي**، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم رقم ١٥، ترجمة: نبيل الخوري، بيروت: المكتبة البولسية، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٣١.

(٤) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٤.

(٥) الكنيسة الكاثوليكية، **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية**، مرجع سابق، ص٥٠٤.

وهذا الخلاص يتم باتحاده في كيان المسيح الإنسان المتحد بالله اتحاداً جوهرياً."[١]

خ- رسمهم صوراً لله سبحانه:

يعتقد النصارى تبعاً لليهود أن الله تعالى على شكل إنسان، فهم يعتقدون كما في التعليم المسيحي: "أن الله خلق الإنسان على "صورة" الخالق و"مثاله،"[٢] لذلك نجدهم يرسمون صوراً لهذا الرب على شكل رجل كبير في السن، وهم يزينون كنائسهم وكتبهم بهذه الصور.[٣]

ولم يشر الفاروقي لهذه الصورة من صور الانحراف صراحة، بل أشار لها إشارة لطيفة حين قال: "فالمسجد -أينما وجد في العالم الإسلامي- لا يحتوي أبداً على أيّة صورة فيها إشراك بالله تعالى."[٤]

وهكذا فقد وصل الانحراف في فهم المسيحية للتنزيه من السوء أن دفع الفاروقي إلى القول: "وقد أصبح الالتزام باللاتعالي عند المسيحيين من القوة والحزم بحيث تحول إلى اعتقاد ثابت، سمح لبول تيلش أن يعلن أن الإله المتعالي غير معروف، ولا يمكن معرفته إلا إذا تجسّد في جسم ما في الطبيعة أو التاريخ."[٥]

---

(١) سيرسن، **اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر**، مرجع سابق، ص١٩١.

(٢) الكنيسة الكاثوليكية، **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية**، مرجع سابق، ص٥١٤، ٦٦٠. وانظر بحث الإنسان على صورة الله ص٥١٣ - ٥١٦ من نفس الكتاب.

(٣) على سبيل المثال لو فتحت كتاب اللاهوت المسيحي ص٧٤، لوجدت صورة تمثل عندهم الله الخالق. وكذلك في كتاب أؤمن "الوجيز في التعليم المسيحي الكاثوليكي" ص٧٦، تجد صورة فإذا دققت النظر في أعلى يمين الصفحة وجدتهم رسموا صورة تدل على الله سبحانه بزعمهم، وصورة لطفل تدل على الابن، وصورة لحمامة ترمز إلى الروح القدس.

(٤) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٤٦.

(٥) المرجع السابق، ص٤٤.

obeikan.com

ثالثاً: التنـزيه عند الفاروقي

لقد بنى الفاروقي كتابه كاملاً على أكبر مبدأ من مبادئ التنزيه، ألا وهو "التوحيد"، فجعل التوحيد النقطة التي انطلق منها في معالجة أبحاث الكتاب، وجعل التوحيد المركز الذي تدور حوله أفكار الكتاب، والحق يقال إن الفاروقي نجح نجاحاً منقطع النظير في الربط بين أهم مبدأ من مبادئ التنزيه وقضايا الإيمان الأخرى، كما نجح أيضاً في الربط بينه وبين جميع مناحي الحياة الحضارية في الإسلام.

وحتى لا يتشعب البحث ويطول، فإننا نأخذ بعين الاعتبار ما عرّفنا به التنزيه في بداية هذا البحث، ونشرح نظرة الفاروقي إلى التنزيه، وفهمه له من خلال النقاط الآتية:

١- اتفاق المسلمين على التنـزيه

لم تتفق الفرق الإسلامية على شيء اتفاقها على التنزيه، فلم يكن تنزيه الله تعالى يوماً موضع خلاف عند المسلمين، وإن اختلفوا في شرحه، يقول الفاروقي: "إن ماهية الإسلام هي التوحيد؛ أي الشهادة بأن الله هو الواحد المطلق المتعالي، خالق كل شيء في هذا الوجود."[١] ثم بيّن أن هذا المبدأ من المبادئ التي "لا أحد من أبناء هذه الحضارة أو المشاركين فيها يخامره أدنى شك أو ريبة في ذلك."[٢] وأشار إلى أن المستشرقين والمبشرين عندما درسوا هذه الحضارة أرادوا التشكيك في هذه الحقيقة، لكن المسلمين بقوا على موقفهم الثابت دون ارتياب.[٣]

٢- أهمية التنـزيه عند المسلمين

قلنا سابقاً: إن تنزيه الله سبحانه هو الأساس القويم الذي يقوم عليه الإيمان

(١) المرجع السابق، ص٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص٣٧.

في الدين الإسلامي الحنيف، وهو المميز الرئيس للعقيدة الإسلامية الغراء في نظرتها للخالق تعالى، إلا أن الفاروقي بوعيه واستلهامه لنظرية التنزيه عند المسلمين، قد أبان لنا أهمية التنزيه بشكل مختلف عما شرحه علماء الكلام السابقين. ونلخص هذه الأهمية في الأفكار الآتية:

- توحيد الله، ومن ثمّ تنزيهه يعد المبدأ الأول للإسلام، وهو الذي يعطي الحضارة الإسلامية هويتها، ويربط مقوماتها.(١)
- توحيد الله، ومن ثمّ تنزيهه يُعدُّ أهم ما أمر به الله تعالى.(٢)
- الأوامر الإلهية في الإسلام لا تقبل، ولا تصلح دون تنزيه الله تعالى، فالدين كله مبني على توحيده، ولزوم طاعته وعدم الإشراك به، ولا عبرة بتنفيذ هذه الأوامر إذا لم يتحقق التنزيه والتوحيد.(٣)
- التفريط في تنزيه الله تعالى يجعل سنة الرسول ﷺ موضع شك ولزوميتها غير ثابتة، وهذا ما يؤدي إلى إسقاط النبوة ذاتها. والفاروقي يقول عن الإله غير المنزَّه إنه "لن يكون له أدنى فائدة للناس أو تأثير عليهم."(٤)

٣- عالمية التنـزيه في الإسلام

يقرر الفاروقي أن "الإسلام يعلن أن تعالي الله وتنزيهه هو موضع اهتمام لجميع البشر، كما يؤكد أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وأودع فيه القدرة على معرفة تعاليه، وهذه أمر فطري يشترك فيه كل البشر."(٥) فتنزيه الخالق -بحسب رأي الفاروقي- يمكّن للبشر جميعاً إدراكه، فهو أمر فطري بحسب

(١) المرجع السابق، ص٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص٣٨.

(٣) المرجع السابق، ص٣٨- ٣٩.

(٤) المرجع السابق، ص٣٩.

(٥) المرجع السابق، ص٤٥.

openkan.com

تعبيره. لذا نجده يؤكد هذا المعنى عند انتقاده للهندوسية التي تؤمن بتفاوت إدراك الإله من شخص لآخر.

والحق أننا لا نتفق تماماً مع الفاروقي في هذه الجزئية، فالناس يتفاوتون في إدراك التنزيه، وما ذكرناه[1] من أن دراسة التنزيه تقوي التفكير لدى الفرد المسلم خير شاهد على ذلك، على أننا نخشى أن يكون الفاروقي قد خلط بين وجود الله تعالى وتنزيهه، مع إقرارنا أن بعض مباحث التنزيه أظهر من بعض.

٤- أهم مبادئ التنزيه التي ذكرها الفاروقي

تميّز الفاروقي بنظرته إلى تنزيه الله تعالى وتعاليه، وقد بثَّ هذه النظرة في ثنايا كتابه، وربطها ببعض حقائق العقيدة الإسلامية، ومن هنا سنذكر أهم هذه المبادئ على شكل مقتطفات نصية من كتابه وعلى شكل نقاط، وأهم هذه المبادئ:

- "التوحيد في التعبير المبسط هو اليقين والشهادة أن "لا إله إلا الله"، وهذا التعبير الذي يبدو في صيغة مختصرة كل الاختصار فيها نفي وإثبات، يحمل أعظم وأغنى معنى في الإسلام."[2]
- "فالمفهوم الإسلامي حول الله أنه قائم بذاته غني عما سواه."[3]
- "إن القول بأن الكون كله مخلوق، ويقف على الجانب الآخر من الخط الفاصل بين الخالق المتعالي والطبيعة المخلوقة، هو إحدى الحقائق الثابتة في العقيدة الإسلامية."[4]
- "التأكيد الأول في العقيدة الإسلامية هو "لا إله إلا الله". عبارة يفهمها

(١) في القسم الأول عند الحديث عن أهمية دراسة التنزيه في الفكر الإسلامي، النقطة الثانية.

(٢) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص٢٠.

(٤) المرجع السابق، ص٢٠.

المسلم على أنها تتضمن رفضاً لأي شريك لله تعالى في ملكوته وحكمه للكون، وكما أن هذه الشهادة تنفي إمكانية أي شخص في أن يمثل أو يجسد أو يعبر بطريقة ما -مهما كانت هذه الطريقة- عن الذات الإلهية."[1]

- "وحكم الله تعالى هو العدل دون اصطفاء لأحد، وميزان عدله مطلق وكامل."[2]

- "فهو وحده الإله الأزلي الخالق المتعالي ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١] و﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠﴾ [الأنعام: ١٠٠] و﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣] وهو أزلي واحد ليس له شركاء إطلاقاً ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ١-٤]."[3]

- "طبيعة الكون غائية، بمعنى أن له غاية، خلقه خالقه من أجلها، وهو يؤدى غايته تلك في الحدود المرسومة له، فالكون لم يخلق عبثاً ولا على سبيل اللعب. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون:١١٥] ويقول: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦﴾ [الأنبياء:١٦] فالكون ليس نتاج الصدفة، بل هو كون أبدعه خالقه على أكمل حال، وخلق كل شيء فيه بقدر، ليؤدى وظيفة كونية محددة له. يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾ [السجدة:٧] ويقول: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢﴾ [الأعلى:٢]."[4]

---

(١) المرجع السابق، ص٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص٢٦.

(٣) المرجع السابق، ص٢٧-٢٨.

(٤) المرجع السابق، ص٢٩.

- "ومرة أخرى، نقول إنه بما أن للكون غاية بوصفه من صنع الله تعالى المنزه عمله عن أي عبث أو لعب، والثابت له التسوية والكمال، فإن الخليقة لا بد أن تكون طيّعة، وقابلة للتحول، وللتغيير في جوهرها، وهيكلها، وشروطها، وعلاقاتها بالفعل الأخلاقي الإنساني، بوصفها شرطاً لتضمين النموذج أو القصد الإنساني في الطبيعة، أو تجسيدها له."[١]

ومن هنا نجد أن الفاروقي عند عرضه لهذه المبادئ ركّز على الجانب العملي والمعاش للعقيدة الإسلامية، وعلى عكس ما فعله المتكلمون من التركيز على الجانب العلمي الاعتقادي.

٥- التنـزيه وحرية الإرادة في الفكر الإسلامي

لقد ربط الفاروقي بين تنزيه الله تعالى وحرية الإرادة الإنسانية على نحو قربه كثيراً من أهل الاعتزال،[٢] فهو يقول: "ومن الطبيعي أن الله سبحانه وتعالى، عندما خلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض، أن يمنحه القدرة على معرفة إرادته، وأن يجعل الأرض قابلة لعمارته، كي تتحقق فيها هذه الإرادة، وإلا كان خلقه له عبثاً."[٣]

ثم يبرهن على حرية إرادة الإنسان بقوله: "لا نتصور عملاً أخلاقياً إن لم يكن صادراً عن إرادة حرة، ويؤديه مكلفٌ حر، فدون الجهد والمبادرة الإنسانية تسقط القيمة الأخلاقية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦]، و﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف:٢٩]."[٤]

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠.

(٢) صبحي، أحمد محمود. **في علم الكلام "المعتزلة"**، بيروت: دار النهضة العربية، ط٥، ١٩٨٥م، ص١٤١.

(٣) الفاروقي، **التوحيد**، مرجع سابق، ص٢٣.

(٤) المرجع السابق، ص٢٥.

فالحرية التي يطرحها الفاروقي هي حرية مسؤولة، يترتب عليها الحساب، فهو يقول: "إن الإنسان حرٌّ مسؤول. فالالتزام الأخلاقي مستحيل دون المسؤولية عنه والحساب عليه. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد على مسؤولية الإنسان، منها على سبيل المثال قول الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣] فالواجب الأخلاقي يستحيل دون المسؤولية أو الحساب، فبلا هذه المسؤولية والثواب والعقاب في مكان وزمان ما، المترتبين على أعماله، تصبح العبثية لازمة لا مفر منها."[1]

ومما سبق يظهر لنا كيف أن الفاروقي استدلّ بتنزيه الله على حرية الإرادة الإنسانية، جاعلاً من هذه الحرية مسوّغاً للمسؤولية عن الفعل، ومن ثمّ شرعية الحساب.

٦- أدلة التنـزيه

لم يختلف استدلال الفاروقي على تنزيه الباري تعالى عن استدلال المتكلمين، فقد أورد آيات القرآن الكريم التي أوردها المتكلمون في استدلالهم على هذه القضية، وهي:

- قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].
- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ٢].
- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٠-١٠٣].
- قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ

(١) المرجع السابق، ص٣١.

وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٢-٤٤].

٧- ربط الإيمان بالعمل

إن أفضل ما وضحه الفاروقي في كتابه هو الربط العملي بين مسائل الإيمان والعمل، ولا بأس في إيراد هذه العبارة الدقيقة والفاصلة له وهي: "ولكي يكون الإنسان مسلماً عليه أن يدرك تماماً أن الله تعالى وحده هو المغيّر، وإرادته فقط هي التي يجب إطاعتها، وسننه وحدها التي تشكل الأساس الأخلاقي للخليقة. إن فحوى رؤية المسلم هي الحقيقة والجمال والفضيلة، ولكن هذه القيم لا تتعدى نطاق طاقته العقلية،... فالتبرئة بوساطة الاعتقاد فقط لا تكفي بالنسبة له، ويجب أن تكون مقدمة إلى ميدان العمل إذ تظهر حسناته وسيئاته."[١]

رابعاً: تطبيقات عملية على استلهام المسلمين للتنزيه

لقد كان للفاروقي قصب السبق في بيان التطبيقات العملية، لاستلهام المسلمين للتنزيه، ولعلنا نورد مثالين ذكرهما الفاروقي، كانا بحسب رأيه نتيجة استلهام المسلمين للتنزيه:

١- زخارف المساجد والعمارة الإسلامية

يقول الفاروقي: "فالمسجد -أينما وجد في العالم الإسلامي- لا يحتوي أبداً على أيّة صورة فيها إشراك بالله تعالى، وهو عبارة عن مكان خالٍ تماماً، وجدرانه وسقوفه لم تزين قط إلا بالآيات القرآنية أو بالأربيسك المجرد، الذي هو فن زخرفي يتشكل من تصميمات من سيقان النباتات وأوراقها وزهورها، يرسمه الفنان عن عمد على نحو متكرر ومتناظر، لا يحاكى الواقع الطبيعي، مما ينفى أي إيحاء محتمل باستخدامه الطبيعة المخلوقة بوصفها وسيلة للتعبير عن الذات الإلهية المقدسة."[٢]

(١) المرجع السابق، ص٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص٤٦.

ثم يُحكم الفاروقي الربط بين الفن والتنزيه؛ إذ يقول: "والنسق قد يكون مصنوعاً من أشكال هندسية هي بطبيعة تكوينها الهندسي توحي بإنكار التعبير الطبيعي عن الذات الإلهية، وهو أيضاً متمدد بطبيعته، ليوحي حقل نظر لا متناهٍ، إذ يساعد تشابك أشكاله على تحريك الخيال إلى ما لا نهاية، مولداً بذلك فكرة استدلالية عقلية، وطالباً من الخيال تكملة النسق فيما وراء الحائط أو اللوحة أو الواجهة أو الأرضية. وإذ إن الخيال عاجز عن أن يستمر إلى ما لا نهاية في كل مرة يطلب منه النسق ذلك، فإن هذه العملية تولد في الشخص الحدس الجمالي باللاتناهي أحد مظاهر التعالي."[١]

٢- سواسية الناس أمام الله تعالى

يذكر الفاروقي هذه الحقيقة التي استنبطها من التنزيه، فيقول: "رفض الإسلام دعوى أن الإنسان يمكنه أن يقيم صلة خاصة عن غيره مع الإله مهما كانت هذه الصلة، فالعباد كلهم سواسية أمام الله تعالى، لا يتفاضلون إلا بالتقوى."[٢]

أما وجه استدلاله على هذه الحقيقة، فقد استنبطها من التوحيد -أشهر قواعد التنزيه- فيقول: "أما المعنى الثالث الجديد الذي تعبر عنه شهادة التوحيد على المستوى القيمي، فهو أنه بما أن الخير الواجب التحقيق هو الإرادة الإلهية، وبما أن تلك الإرادة الإلهية واحدة بالنسبة لكل المخلوقات، لكونها متعلقة بالخالق وحده، ويتعين عليهم جميعا الخضوع لها، فإنه لا محل للتمييز بين الأماكن والبشر بوصفه موضوعاً للفعل الأخلاقي. ومن هنا، فإن القول بعدم التمييز بين نقاط الزمان والمكان بوصفها بؤراً لقوة طرد مركزية للفعل السياسي، وبعدم التمييز بين البشر بوصفهم فاعلين للفعل الأخلاقي، على نحو يجعل الحياة الأخلاقية عالمية ومجتمعية في الوقت نفسه، كان بمثابة اكتشاف جديد، غائب عن الممارسة، حينما ولدت الحركة الإسلامية."[٣]

---

(١) المرجع السابق، ص٤٦.

(٢) المرجع السابق، ص٢١.

(٣) المرجع السابق، ص٥٤-٥٥.

لذا نجد الفاروقي ينعى على اليهود قولهم بفكرة "شعب الله المختار"، المنافية لنظرية التنزيه، فهو يقول: "إن إلهاً بهذا المفهوم يخضع لتأثير هذه العلاقة الخاصة -مهما كانت درجتها- هو بلا شك غير الله المتعالي المرتسم في الوعي السامي الذي جاء بصفاته الوحي المعصوم،"[1] الذي يقرر أن الناس أمام شرع الله سواء.

خاتمة:

هذا ما منَّ الله به علينا من شرح لنظرية التنزيه عند الفاروقي ﷺ مستلهمة من كتابه "التوحيد؛ مضامينه على الفكر والحياة"، وقد لاحظنا كيف أبدع الفاروقي في استلهام أهم مبدأ من مبادئ التنزيه "التوحيد"، وكيف ربطه بمناحي الحياة، ثم كيف ناقش اليهودية والمسيحية، وبيّن انحرافهما عن تنزيه الخالق المتعالي، ثم كيف شرح نظرية التنزيه الإسلامية بأسلوب سهل واضح بعيد عن تعقيدات علماء الكلام مع الإفادة من كتاباتهم.

على أنا خلصنا إلى أهم النتائج من هذا البحث وهي:

- يعدّ توحيد الله تعالى أهم مبدأ من مبادئ التنزيه، وهو المبدأ الأول في العقيدة الإسلامية، وعلى هذا المبدأ بنى الفاروقي كتابه.
- تفرّد الفاروقي في بيان علاقة تنزيه الباري جل شأنه، وحرية الإرادة والاختيار للإنسان؛ إذ طرح مبدأ الحرية المسؤولة، وقال: إن الإنسان حرٌّ مسؤول.
- نقل الفاروقي التنزيه من الدائرة الإسلامية إلى الدائرة العالمية، وبيّن حاجة البشر إلى ضرورة معرفة تنزيه الله تعالى وتعاليه.
- بيّن الفاروقي أن من مقتضيات التنزيه وحدة موقف البشر أمام الله تعالى، فالكل أمام الله تعالى سواء، ولا وجود لفكرة الشعب المختار التي تسيء إلى التنزيه.

(١) المرجع السابق، ص٤٢.

- إن محاكمة اليهودية، والمسيحية أمام التنزيه، يُعد باباً أحسن الفاروقي استغلاله، وأبدع في شرحه وتفصيله.
- حاز الفاروقي -حقاً- قصب السبق في بيان التمثلات العملية للتنزيه، وبخاصة فيما أشار إليه من ترسخ التنزيه في وجدان عقل الفنان المسلم، فرسمت ريشته أشكالاً هندسية وزخارف نباتية تجريدية، عبرت عن تنزيه الخالق سبحانه.

لقد أظهر الفاروقي تمثلات التنزيه على جميع مكونات شخصية المسلم، بدأً من حرية إرادته واختياره، وانتهاءً بشعوره بالمساواة مع جميع الخلق أمام الله تعالى، إظهاراً عزَّ نظيره بين علماء الأمة، الذين تقع على عاتقهم اليوم تنقية الفكر الإسلامي من رواسب التشبيه والتجسيم، لينعكس ذلك على واقعهم المعاش في جميع جوانب حياتهم الحضارية، التي ستنهض بإذن الله سبحانه إن هم استلهموا نظرية التنزيه الإسلامي، وتمثلوها في حياتهم، أفراداً ومجتمعاً.

openkan.com